(١٠)

نهاية مسيلمة الكذَّاب

كان أبو بكر الصديق– رضي الله عنه– قد بعث خالد بن الوليد سنة ١١هـ إلى قتال بني حنيفة باليمامة، وأوعب معه المسلمون، وعلى الأنصار ثابت بن قيس بن شماس، فسار لا يَمُرُّ بأحد من المرتدِّين إلا نكَّل بهم، وقد اجتاز بخيول لأصحاب سجاح[1] فشَرَّدَهم وأمر بإخراجهم من جزيرة العرب، وأردف الصِّدِّيق خالداً بسرية لتكون ردءا له من ورائه، وقد كان بعث قبله إلى مسيلمة عكرمة بن أبي جهل، وشرحبيل بن حسنة، فلم يقاوما بني حنيفة؛ لأنهم نحو أربعين ألفاً من المقاتلين، فعجل عكرمة قبل مجيء صاحبه شرحبيل فناجزهم فنكب، فانتظر خالدا، فلما سمع مسيلمة بقدوم خالد عسكر بمكان يقال له: عقربا في طرف اليمامة

---

(١) وهي سجاح بنت الحارث التميمية، متنبئة مشهورة، كانت أديبة شاعرة عارفة بالأخبار، تبعت في عهد الردة أيام أبي بكر وادَّعت النُّبوة بعد وفاة رسول الله ﷺ، وكانت في بني تغلب بالجزيرة، وكان لها علم بالكتاب أخذته عن نصارى تغلب، فتبعها جمع من عشيرتها، فأقبلت بهم من الجزيرة تريد غزو أبي بكر، فنزلت باليمامة فبلغ خبرها مسيلمة وقيل له إن معها أربعين ألفا فخافها، وأقبل عليها في جماعة من قومه، وتزوج بها، فأقامت معه قليلا، وأدركت صعوبة الإقدام على قتال المسلمين، فانصرفت راجعة إلى أحوالها بالجزيرة، ثم بلغها مقتل مسيلمة فأسلمت وهاجرت إلى البصرة، وتوفيت فيها، وصلى عليها سمرة بن حندب– رضي الله عنه. انظر تاريخ الطبري (٣/٢٣٦)، والأعلام (٣/٧٨).

والرِّيف وراء ظهورهم، وندب الناس وحثَّهم، فحشد لـه أهـلُ اليمامة، وجعل على مجنبتي جيشه المحكم بن الطفيل، والرجال بـن عنفوة بن نهشل، وكان الرجال هذا صديقه الذي شهد له أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: إنه قد أشرك معه مسيلمة بن جيب في الأمر. وكان هذا الملعون من أكبر ما أضلَّ أهل اليمامـة، حـتى اتَّبعـوا مسيلمة لعنهما الله.

وقد كان الرجال هذا قد وفد إلى النبيِّ ﷺ وقرأ البقرة، وجاء زمنَ الرِّدَّة إلى أبي بكر فبعثه إلى أهـل اليمامـة يـدعوهم إلى الله ويثبِّتهم على الإسلام، فارتدَّ مع مسيلمة وشهد له بـالنُّبُوَّة، قـال سيف بن عمر عن طلحة عن عكرمة عن أبي هريرة: كنت يومـاً عند النبي ﷺ في رهط معنا الرجال بن عنفوة، فقـال: إنَّ فـيكم لرجلاً ضرسه في النار أعظم من أحد. فهلك القوم وبقيـت أنـا والرجال، وكنت متخوِّفا لها، حتى خرج الرجال مع مسيلمة وشهد له بالنُّبُوَّة، فكانت فتنة الرجال أعظمَ من فتنة مسيلمة. رواه ابـن إسحاق عن شيخ عن أبي هريرة.

وقرب خالد وقد جعل على المقدمة شرحبيل بن حسنة، وعلى المجنبتين زيدا وأبا حذيفة، وقد مرت المقدمة في الليل بنحـو مـن أربعين وقيل ستين فارسا، عليهم مجاعة بن مرارة، وكان قد ذهب لأخذ ثأر له في بني تميم وبني عامر وهو راجع إلى قومه فأخذوهم؛ فلما جيء بهم إلى خالد عن آخرهم فاعتذروا إليه فلم يصـدِّقْهم، وأمر بضرب أعناقهم كلهم، سوى مجاعة؛ فإنه اسْتَبْقاه مقيَّدًا عنده؛ لعلمه بالحرب والمكيدة، وكان سيِّداً في بني حنيفة، شريفاً مطاعـاً،

ويقال: إن خالداً لما عرضوا عليه قال لهم: ماذا تقولون يا بني حنيفة؟ قالوا: نقول منا نبيٌّ ومنكم نبيٌّ. فقتلهم إلا واحداً اسمه سارية، فقال له: أيُّها الرجل، إن كنت تريد عدا بعدول هذا خيراً أو شراً فاستبق هذا الرجل– يعني مجاعة بن مرارة– فاسْتَبْقاه خالدٌ مقيَّدًا، وجعله في الخيمة مع امرأته وقال: استوص به خيراً. فلما تواجه الجيشان قال مسيلمة لقومه: اليوم يوم الغيرة، اليوم إن هزمتم تستنكح النساء سبيات، وينكحن غير حظيات. فقاتلوا عن أحسابكم وامنعوا نساءكم.

وتقدَّم المسلمون حتى نزل بهم خالد على كثيب يشرف على اليمامة، فضرب به عسكره، وراية المهاجرين مع سالم مولى أبي حذيفة، وراية الأنصار مع ثابت بن قيس بن شماس، والعرب على راياتها، ومجاعة بن مرارة مقيد في الخيمة مع أم تميم امرأة خالد، فاصطدم المسلمون والكفار فكانت جولة وانهزمت الأعراب حتى دخلت بنو حنيفة خيم خالد بن الوليد وهمُّوا بقتل أم تميم، حتى أجارها مجاعة وقال: نعمت الحرة هذه. وقد قتل الرجال بن عنفوة – لعنه الله – في هذه الجولة؛ قتله زيد بن الخطاب، ثم تذامر الصَّحابة بينهم وقال ثابت بن قيس بن شماس: بئس ما عَوَّدْتُم أقرانَكم. ونادوا من كل جانب: اخلصنا يا خالد. فخلصت ثلةٌ من المهاجرين والأنصار وجمى البراء بن معرور، وكان إذا رأى الحرب أخذته العرواء فيجلس على ظهر الرحال حتى يبول في سراويله، ثم يثور كما يثور الأسد.

وقاتلت بنو حنيفة قتالاً لم يُعْهَدْ مثلُه، وجعلت الصحابة

يتواصون بينهم ويقولون: يا أصحاب سورة البقرة، بطل السِّـــحرُ اليوم. وحفر ثابت بن قيس لقدميه في الأرض إلى أنصاف ســـاقيه، وهو حامل لواء الأنصار بعدما تحنط وتكفن، فلم يزل ثابتا حتى قتل هناك، وقال المهاجرون لسالم مولى أبي حذيفة: أتخشى أن نؤتى من قبلك؟ فقال: بئس حامل القرآن أنا إذاً. وقال زيد بن الخطَّاب: أيُّها الناس، عضُّوا على أضراسكم واضربوا في عدوِّكم وامضوا قـــدماً. وقال: والله لا أتكلم حتى يهزمهم الله أو ألقى الله فأكلمه بحجـــتي. فقتل شهيداً – رضي الله عنه.

وقال أبو حذيفة: يا أهل القرآن، زَيِّنوا القرآن بالفعال. وحمل فيهم حتى أبعدهم وأصيب – رضي الله عنه، وحمل خالد بن الوليد حتى جاوزهم، وسار لجبال مسيلمة وجعل يترقَّب أن يصـــل إليـــه فيقتله، ثم رجع، ثم وقف بين الصَّفَّيْن ودعا البراز، وقال: أنا ابـــن الوليد العود، أنا ابن عامر وزيد، ثم نادى بشعار المسلمين– وكان شعارهم يومئذ "يا محمداه– وجعل لا يبرز لهم أحد إلا قتلـــه، ولا يدنو منه شيء إلا أكله، ودارت رحى المسلمين، ثم اقتـــرب مـــن مسيلمة فعرض عليه النِّصف والرجوع إلى الحق، فجعـــل شـــيطان مسيلمة يلوي عنقَه، لا يقبل منه شيئا، وكلما أراد مسيلمة يقارب من الأمر صرفه عنه شيطانه، فانصرف عنه خالد، وقد مَيَّزَ خالـــد المهاجرين من الأنصار من الأعراب، وكل بني أب علـــى رايتـــهم يقاتلون تحتها؛ حتى يعرف الناس من أين يؤتون، وصبرت الصَّحابة في هذا الموطن صبراً لم يُعْهَدْ مثله، ولم يزالوا يتقـــدَّمون إلى نحـــور عدوِّهم حتى فتح الله عليهم، وولَّى الكفارُ الأدبارَ، واتَّبعوهم يقتلون

في أقفائهم، ويضعون السيوف في رقابهم حيث شاؤوا، حتى ألجؤوهم إلى حديقة الموت.

وقد أشار عليهم محكم اليمامة– وهو محكم بن الطفيل لعنه الله– بدخولها، فدخلوها وفيها عدوُّ الله مسيلمة– لعنه الله، وأدرك عبد الرحمن بن أبي بكر محكم بن الطفيل فرماه بسهم في عنقه وهو يخطب فقتله، وأغلقت بنو حنيفة الحديقةَ عليهم، وأحاط بهم الصحابة، وقال البراء بن مالك: يا معشر المسلمين، ألقوني عليهم في الحديقة. فاحتملوه فوق الجحف ورفعوها بالرِّماح حتى ألقوه عليهم من فوق سورها، فلم يزل يقاتلهم دون بابها حتى فتحه، ودخل المسلمون الحديقة من حيطانها وأبوابها يقتلون من فيها من المرتدة من أهل اليمامة، حتى خلصوا إلى مسيلمة – لعنه الله، وإذا هو واقف في ثلمة جدار كأنَّه جمل أورق، وهو يريد يتساند، لا يعقل من الغيظ، وكان إذا اعتراه شيطانه أزبد حتى يخرج الزبد من شدقيه، فتقدَّم إليه وحشيّ بن حرب مولى جبير بن مطعم– قاتل حمزة– فرماه بحربته فأصابه وخرجت من الجنب الآخر، وسارع إليه أبو دجانة سماك بن خرشة، فضربه بالسَّيف فسقط، فنادت امرأة من القصر: وأمير الوضاءة قتله العبد الأسود. فكان جملة من قتلوا في الحديقة وفي المعركة قريبا من عشرة آلاف مقاتل، وقيل: واحد وعشرون ألفا، وقتل من المسلمين ستمائة، وقيل: خمسمائة. فالله أعلم.

وفيهم من سادات الصحابة، وعيان الناس من يذكر بعد، وخرج خالد وتبعه مجاعة بن مرارة يرسف في قيوده، فجعل يريه

القتلى ليعرفه بمسيلمة، فلما مروا بالرجال بن عنفوة قال له خالد: أهذا هو؟ قال: لا، والله هذا خير منه، هذا الرجال بن عنفوة.

قال سيف بن عمر: ثم مروا برجل أصفر أخنس، فقال: هذا صاحبكم، فقال خالد: قبحكم الله على اتباعكم هذا، ثم بعث خالد الخيول حول اليمامة يلتقطون ما حول حصونها من مال وسبي، ثم عزم على غزو الحصون و لم يكن بقي فيها إلا النساء والصبيان والشيوخ الكبار، فخدعه مجاعة فقال: إنها ملأى رجالا ومقاتلة فهلم فصالحني عنها. فصالحه خالد لما رأى بالمسلمين من الجهد وقد كلوا من كثرة الحروب والقتال، فقال: دعني حتى أذهب إليهم ليوافقوني على الصلح، فقال: اذهب. فسار إليهم مجاعة فأمر النساء أن يلبسن الحديد ويبرزن على رؤوس الحصون، فنظر الصلح، ودعاهم خالد إلى الإسلام فأسلموا عن آخرهم ورجعوا إلى الحق ورد عليهم خالد بعض ما كان أخذ من السبي، وساق الباقين إلى الصديق، وقد تسرى علي بن أبي طالب بجارية منهم، وهي أم ابنه محمد الذي يقال له: محمد بن الحنفية– رضي الله عنه، وقد قال ضرار بن الأزور في غزوة اليمامة هذه:

فلو سئلت عنا جنوب لأخبرت
عشية سالت عقرباء وملهم
وسال بفرع الواد حتى ترقرقت
حجارته فيه من القوم بالدم
عشية لا تغني الرماح مكانها
ولا النبل إلا المشرفي المصمم

فـــإن تبتغـــي الكفـــار غـــير مســـيلم
جنـــوب فـــإني تـــابع الـــدين مســـلم
أجاهـــد إذا كـــان الجهـــاد غنيمـــة
ولله بـــــالمرء المجاهـــــد أعلـــــم

وقد قال خليفة بن خياط، ومحمد بن جريـر، وخلـق مـن السلف: كانت وقعة اليمامة في سنة إحدى عشرة، وقال ابن قانع: في آخرها، وقال الواقدي وآخرون: كانت في سنة عشرة، والجمع بينها أن ابتداءها في سنة إحدى عشرة، والفراغ منها في سنة ثـنتي عشرة والله أعلم.

ولما قدمت وفودُ بني حنيفة على الصِّدِّيق قال لهـم: أسمعونـا شيئاً من قرآن مسيلمة. فقالوا: أوتعفينا يا خليفة رسول الله؟ فقال: لابد من ذلك. فقالوا: كان يقول: يا ضفدع بنت الضفدعين نقي لكم نقين، لا الماء تكدرين ولا الشارب تمنعين، رأسك في المـاء، وذنبك في الطين. وكان يقول: والمبذرات زرعـا، والحاصـدات حصدا، والذاريات قمحا، والطاحنات طحنا، والخابزات خبـزا، والثاردات ثردا، واللاقمات لقما، إهالة وسمنا، لقد فضلتم على أهل الوبر، وما سبقكم أهل المدر، رفيقكم فامنعوه، والمعتـر فـآووه، والناعي فواسوه. وذكروا أشياء من هذه الخرافات التي يأنف مـن قولها الصبيان وهم يلعبون، فيقال: إن الصدِّيق قال لهم: ويحكم، أين كان يذهب بعقولكم؟! إن هذا الكلام لم يخرج مـن أل. وكـان يقول: والفيل، وما أدراك ما الفيل، له زلوم طويل. وكان يقـول:

والليل الدامس، والذئب الهامس، ما قطعت أسد من رطب ولا يابس. وكان يقول: لقد أنعم الله على الحبلى، أخرج منها نسمة تسعى، من بين صفاق وحشي. وأشياء من هذا الكلام السَّخيف الركيك البارد السميج.

وقد أورد أبو بكر ابن الباقلاني– رحمه الله– في كتابه إعجاز القرآن أشياء من كلام الجهلة المتنبئين كمسيلمة وطليحة والأسود وغيرهم؛ مما يدلُّ على ضعف عقولهم وعقول من اتَّبَعهم على ضلالهم ومحالهم، فقال له مسيلمة: ماذا أنزل على صاحبكم في هذا الحين؟ فقال له عمرو: أنزل عليه سورة وجيزة بليغة. فقال: وما هي؟ قال: أنزل عليه: ﴿**وَالْعَصْرِ * إِنَّ الْإِنْسَانَ لَفِي خُسْرٍ * إِلَّا الَّذِينَ آَمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ وَتَوَاصَوْا بِالْحَقِّ وَتَوَاصَوْا بِالصَّبْرِ**﴾. قال: ففكَّر مسيلمة ساعة ثم رفع رأسه فقال: ولقد أنزل عليَّ مثلُها. فقال له عمرو: وما هي؟ فقال مسيلمة: يا وبر يا وبر، إنما أنت إيراد وصدر، وسائرك حفر نقر. ثم قال: كيف ترى يا عمرو؟ فقال له عمرو: والله إنك لتعلم أني أعلم أنك تكذب.

وذكر علماء التاريخ أنه كان يتشبَّه بالنبيِّ ﷺ؛ بلغه أن رسول الله ﷺ بصق في بئر فغزر ماؤه، فبصق في بئر فغاض ماؤه بالكلية. وفي أخرى فصار ماؤه أجاجا، وتوضأ يمسح رؤوسهم؛ فمنهم من قرع رأسه، ومنهم من لثغ لسانه، ويقال: إنه دعا لرجل أصابه وجع في عينيه فمسحها فعمي.

وقال سيف بن عمر عن خليد بن زفر النمري، عن عمير بن

طلحة عن أبيه أنه جاء إلى اليمامة فقال: أين مسيلمة؟ فقال: مه رسول الله. فقال: لا، حتى أراه. فلما جاء قال: أنت مسيلمة؟ فقال: نعم. قال: مَنْ يأتيك؟ قال: رجس، قال: أفي نور أم في ظلمة؟ فقال: في ظلمة. فقال: أشهد أنك كذاب وأن محمداً صادق؛ ولكن كذاب ربيعة أحبُّ إلينا من صادق مضر. واتَّبَعَه هذا الأعرابيُّ الجلف- لعنه الله- حتى قتل معه يوم عقربا.

obeikandl.com